دروس تعليمية وتربوية من كتاتيب البحرين في بدايات القرن العشرين الميلادي

مقتبس مع بعض التصرف من رسالة ماجستير
حول التعليم الديني الأهلي في البحرين
للباحث الشيخ ياسين الحجري

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد واله الطاهرين

تصور بعض الكتابات مرحلة التعليم في الكتاتيب خصوصا قبل بدء التعليم النظامي في الدول العربية والإسلامية ، ومنها بلدنا الحبيب البحرين تصويرا سلبيا ، ولعل مما عزز هذا الصورة السلبية الأفلام التي مثلت عن تلك الفترة والتي أبرزت المعلم في الكتاب انسانا جشعا قاسيا لا يتورع عن انزال العقاب بالطلبة لاتفه الأسباب .

لذا جاء هذا المقال ليصحح هذه الصورة السلبية فالكاتب رغم عدم انكاره لوجود بعض الظواهر والممارسات السلبية في بعض الكتاتيب الا أن ذلك لاينطبق على كل الكتاتيب من جهة ومن جهة أخرى فان كثيرا من الأساليب التربوية والطرق التعليمية التي ينادي بها التربويون اليوم كانت سائدة في معظم هذه الكتاتيب ، فالمقال يرد الاعتبار للكتاتيب من جهة ، ويدعو الى استفادة المعنيين بالتعليم بشكل عام وتعليم القران بشكل خاص في عصرنا من تلك الممارسات والقيم ، ومما يعزز قوة المقال أن صاحبه ممن تعلم في الكتاب بالإضافة الى التعليم الحكومي والاكاديمي في الجامعة والتعليم الحوزي .

نبذة تاريخية موجزة عن التعليم الديني في البحرين:

1- دخول أهل البحرين في الاسلام :

من المعلوم أن اسم البحرين كان يطلق على المنطقة الواقعة شرق شبه الجزيرة العربية والتي تمتد من البصرة شمالا إلى عمان جنوباً على طول ساحل الخليج ، وتشمل حاليا الكويت، والإحساء والقطيف وقطر والإمارات وجزء من عمان بالإضافة إلى جزر أوال (مملكة البحرين حالياً). وكانت هجر عاصمة هذا الإقليم. (1)

ومنذ فجر الدعوة وعبر سنينها الطويلة كانت البحرين، حصنا حصينا للإسلام والمسلمين. فلقد اعتنق أهالي البحرين الإسلام سلماً بعد أن وصل إليهم العلاء بن الحضرمي يحمل كتاب الدعوة من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى والي البحرين المنذر بن ساوى فأسلم وأسلم معه معظم العرب أما من فيها من اليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء الحضرمي والمنذر على دفع الجزية وذلك في السنة الثامنة للهجرة. وكان أول مال ورد المدينة من خراج هو خراج البحرين. (2)

وبعد دخول أهل البحرين في الإسلام شرعوا في بناء المساجد، فكان أهل البحرين سباقون في بنائها فقد روى البخاري في صحيحة بسنده عن ابن عباس أنه قال: " **أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا، يعني قرية من البحرين** " (3)

وجواثا هي مدينة فيها حصن بنفس الاسم وقد وصفه البلاذري بأنه حصن البحرين وقد اتخذها المسلمون قاعدة رئيسية لهم كما كانت مركزا تجاريا مهما. ومسجد جواثا اليوم يقع في مدينة الإحساء شرق المملكة العربية السعودية، وقد بني هذا المسجد في عهد الحبيب

---

(1) عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **البحرين في صدر الإسلام**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م ص19

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1986 م ج1 ص348. وانظر: محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1357هـ – 1939م ج2ص392.

(3) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، دار الغد الجديد، مصر، الطبعة الأولى 2002م – كتاب الجمعة – باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم 892 ص167.

المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وتشرف ببنائه سكان بلاد [البحرين](بنو عبد قيس) وهم الذين بادروا بإسلامهم طوعاً لا كرهاً. (1)

ويذكر بعض الباحثين أنه بعد استقرار دولة الإسلام وهيمنتها على كل جزيرة العرب أصبحت البحرين جزءا من دولة الإسلام ، وجعلت تابعة في إدارتها للحجاز. وفي زمن عثمان بن عفان ألحقت البحرين بالبصرة ، وأصبحت قاعدة لفتوح فارس وجنوبي إيران وهكذا كان للبحرين دور بارز في انتشار الإسلام ، كما كان لها إسهام كبير في رفد اقتصاد الدولة الإسلامية في صدر الإسلام. (2)

2- رسوخ قدم أهل البحرين في الاسلام وانتشار التعليم الديني فيها :

وبعد دخول أهل البحرين في الإسلام شرعوا في بناء المساجد، فكانت أماكن لأداء العبادات من الفرائض والسُنن، وجامعات للتعليم وتخريج الأكفاء من العلماء والفقهاء والأمراء، ومعاهد لطلب العلم ونشر الدعوة في المجتمع، ومركزاً للقضاء والفتوى، وداراً للشورى وتبادل الآراء، ومنبراً إعلامياً لإذاعة الأخبار وتبليغها، ومنزلاً للضيافة وإيواء الغرباء، ومكاناً لعقد الألوية، ومنتدًى للثقافة ونشر الوعي بين الناس.

ويعد مسجد الخميس أحد المعالم التاريخية الشهيرة في البحرين *وقد كشفت نتائج البعثة الفرنسية في مسجد الخميس بقيادة (مونيك كيرفاران) Monik kirfaran عام 1914م أن المسجد أعيد بناؤه مرتين على الأقل* وقد وجد في المسجد نقش كتابة عربية كتبت بخط كوفي جميل مزخرف نحتت على لوح جداري يتبين منه أنه يعود إلى عهد أحد ملوك الدولة العيونية (469-636هـ/ 1076-1238م). وقد تمكن العيونيون الذين ينتمون إلى منطقة العيون بالإحساء خلال فترة حكمهم من توحيد أهم مناطق إقليم البحرين قديما (الإحساء والقطيف وأوال) في عهد مؤسس الدولة العيونية عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني عام 469هـ/1076م بمساعدة السلاجقة بعد تحرير هذه المنطقة من القرامطة الذين استمر حكمهم لها مدة قرنين. وقد تمكن الحكام العيونيون من إنشاء الكثير من المدارس في مناطق الدولة الثلاث التي اهتمت بعلوم الدين واللغة، كما أعادوا تشييد الكثير من المساجد التي طالتها يد التخريب القرمطية. (3)

---

(1) عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **البحرين في صدر الإسلام**ص83

(2) عبد الرحمن سعود مسامح، **مقدمة في تاريخ البحرين**، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، البحرين، الطبعة الأولى 1998،ص307.

(3) حسين الجمري، بحث تاريخي معزز بالأدلة والصور من عدة حلقات بعنوان: **مسجد الخميس الحوزة الأولى وأول مسمار في نعش القرامطة** على موقع " سنوات الجريش " www.jasblog.com

ويمكن القول إن إعادة بناء مشهد الخميس تمت في عهد أبي سنان العيوني ثاني حكام الدولة العيونية (527 – 538 هـ / 1132 – 1143 م، ويأتي اهتمام الأمير أبي سنان بإعادة تشييد مشهد الخميس عام 518هـ / 1124 –1125 م امتداداً لاهتمامه بتشجيع ودعم العلم وطلابه ومؤسساته حيث يعد المسجد الحاضن الأكبر للحركة العلمية الأدبية

وقد تم إعادة تشييد المشهد أو المسجد خلال ولايته على أوال والقطيف وكتب على المنارة" :بسم الله الرحمن الرحيم بنيت هذه المنارة أيام الملك العادل زين الدنيا والدين القائم في رضا رب العالمين أبي سنان محمد بن الفضل بن عبدالله"،وقد زينت جدران المشهد من الداخل بعدد من الآيات القرآنية المنقوشة، منها: "بسم الله الرحمن الرحيم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" كما نقشت أسماء الجلالة وأسماء الرسول (ص) وأهل البيت. (1)

وظهر في البحرين على امتداد القرون الهجريّة علماء مشهورون في العالم الاسلامي كالشيخ ميثم البحراني العالم والفيلسوف المشهور في القرن السابع الهجري صاحب كتاب شرح نهج البلاغة، والشيخ عبد الله بن المتوج في القرن الثامن ومحمد بن أحمد بن سعادة في القرن التاسع والشيخ أحمد بن سالم بن عيسى المشهور بأبي رمانة في القرن العاشر الهجري .والسيد هاشم البحراني المعروف بالتكتكاني صاحب التفسير المشهور " البرهان في تفسير القران في القرن الحادي عشر . وقد بلغت الحركة الفقهية في البحرين ذروتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين فأنجبت البحرين علماء وفقهاء لايكاد يستغني أي باحث أو فقيه عن كتبهم وأبحاثهم كعلامة البحرين الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق الناظرة والشيخ عبد الله بن نور الله البحراني صاحب الموسوعة المعروفة " عوالم العلوم : وأحد أعلام تلامذة العلامة المجلسي . (2)

ويذكر الباحثون في تاريخ البحرين لاسيما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أنها عرفت بانتشار العلم الديني ، ورواجه بين أهلها، فلا تكاد تخلو بلدة أو قرية من وجود عالم دين. وقد انتشر التعليم من المساجد ، وبيوت علماء الدين.وقدمت المدارس التابعة للمساجد دروسا في الفقه واللغة وحفظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة وبعض العلوم الأخرى: كالفلسفة. ولهذا قصد هذه المدارس طلاب من خارج البلاد بسبب ما نالته تلك المدارس من شهرة واسعة، حتى أطلق على البحرين " **دار العلم** ". (3)

---

(1) حسين الجمري، بحث تاريخي معزز بالأدلة والصور من عدة حلقات بعنوان: مسجد الخميس الحوزة الأولى وأول مسمار في نعش القرامطة على موقع " سنوات الجريش " www.jasblog.com

(2) للمزيد انظر د.سالم النويدري، **أعلام الثقافة في البحرين**

(3) انظر: محمد علي التاجر، **عقد الآل في تاريخ أوال**، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، البحرين ، 1994م ص26. ود.سالم النويدري، **أعلام الثقافة في البحرين** ص26 .

وقد اشتهرت البحرين منذ عهود بكثرة مساجدها وكثرة العلماء فيها يقول أحد العلماء الذين كتبوا عن تلك الفترة " وهذه الجزيرة أعني البحرين أحسن المدن الثلاث جامعية للكمال لكثرة العلماء فيها والمتعلمين، والأتقياء الورعين، والشعراء والأدباء والمتأدبين.... وكثرة المدارس والمساجد وفحول العلماء الأماجد " (1)

ثم يورد البلادي أبياتا يتحدث فيها عن شهرة البحرين في هذا المجال فيقول:

كانت أوال مدينة * للعلم والعمل الصحيح

ومحط أرباب التقى * والزهد والأدب الفصيح

ومحل أرباب النهى * والدين كل فتى رجيح

من جهبذ ورع وذي * فضل وعمال ربيح (2)

ويذكرالبلادي ما يدل على عناية أهل البحرين سابقا بتعليم أولادهم مكارم الأخلاق والأدب والتقوى والتهجد والصلاة فيقول " حدثني بعض الصالحين الثقات من أهل البحرين عن سلفهم الأقدمين أنه كان في الزمن القديم في البحرين أن الرجل من أهل السوق والتجار ، يكون عنده العبد المملوك ؛ فيراه ليلة من الليالي ربما غفل عن صلاة الليل ؛ لنوم أو غفلة ، فيصبح ويأمر الدلال أن يبيعه ؛ فيقول له جيرانه من أهل السوق لم تبيع مولاك ولم تر منه إلا الصلاح والطاعة ؟ فيقول لهم مولاه : إنه البارحة لم يصل صلاة الليل ، وأخاف أن تكون له عادة فربما يقتدي به بعض العيال ،فلا يصلي صلاة الليل فإذا سمعوا ذلك منه صار عندهم عيبا فيأمرون بإخراجه من البحرين وبيعه في غيرها من البلدان " (1).

.

---

(1) علي حسن سليمان البلادي البحراني، **أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين** ص52.

(2) علي حسن سليمان البلادي البحراني، **أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين** ص53.

ويروي كذلك حادثة تدل على كثرة العلماء الذين حضروا في مسجد واحد من مساجد البحرين وهو مسجد الخميس التاريخي حيث يقول: " قد كان العلماء السابقون من بلادنا البحرين في غاية من الإنصاف والتقوى والإعراض عن الدنيا وقد اتفق أن فاتحة (أي مجلس عزاء لموت شخص) أقيمت لبعض أشخاص البحرين في مسجدها المسمى بالمشهد ذي المنارتين فاتفق فيها حضور ثلاثمائة أو يزيدون من العلماء الأفاضل في وقت من الأوقات فأتى رجل يسأل عن مسألة مهمة في دينه فقصد المشار إليه من بينهم فسأله عنها فأحاله على الذي عن يمينه فسأله فأحاله على الذي إلى جانبه وهكذا لم يزل يحيل كل واحد على الآخر حتى أتى على آخر ذلك الصف ثم أحالوه على الأول أي المسؤول أولا فأحاله على الذي كان على يساره فسأله فأحاله على الذي بجانبه وهكذا حتى أتى على آخرهم فأحالوه على الأول فرجع إليه وأجابه عن مسألته. (1)

ثم يعلق البلادي على الحادثة بقوله " فانظر رحمك الله تعالى إلى هؤلاء العلماء الأشراف، والمجمع الجامع لمحاسن التقوى والإنصاف، الذي جمع هذا الجم الغفير والجمع الكثير في وقت اتفاقي، فما ظنك بمن لم يجمعهم ذلك المجمع ولم يحضر ذلك الموضع من أهل القرى البعيدة أو القريبة الذين لم يسمعوا ولم يحضروا ". (2).

وتدل الكتابات والوثائق على انتشار التعليم في كثير من مساجد البحرين،وعلى وجود أماكن للتعليم ، ولقد أنتجت هذه الأماكن وعلى مدى قرون عديدة علماء كانت لهم مساهمات علمية في مختلف الفنون والمجالات العلمية، مما جعلها مقصدا علميا . ومشاركة في جميع المجالات العلمية سواء في الحديث، أو الفقه وأصوله، أو علم الرجال، أو الكلام والفلسفة، أو الأدب، أو العلوم القرآنية، وغيرها من العلوم التي كان لها الأثر في نشر المعرفة وإثراء المكتبة العلمية،فلا تجد عالماً إلاّ وله حلقة تدريس سواء كان على المستوى الفردي، كأن يدرس في منزله أو مسجده أو على مستوى التدريس الجماعي الذي يكون في مجمع لتحصيل العلم، ويضم مجموعة من المدرسين الذين يدرسون في مواد علمية متنوعة كالفقه

---

(1) علي حسن سليمان البلادي البحراني، **أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين** ص51.

(2) المصدر السابق ص 51 .

والأصول والحديث والتفسير وغيرها، وما خلت البحرين في فترة من الفترات من التدريس والمباحثة العلمية ومن القرى التي انتشرت فيها هذا النوع من التعليم: بوري والقدم وجدحفص وجزيرة النبيه صالح وغيرها. (1)

وبعد القرن الثالث عشر الهجري بدأت الحركة العلمية تذبل شيئا فشيئا بفعل عوامل عديدة ، ومن أهمها عوامل التأثير الخارجي كالاعتداءات وحملات السلب والنهب التي استهدفت البحرين في أمنها واستقرارها من قوى أقليمية وأجنبية وذلك بغرض تحقيق هذه القوى مطامع سياسية واقتصادية ، وعاشت البحرين بعد ذلك محنة صعبة بفرار علمائها وتشردهم في المناطق المجاورة . (2)

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبدايات القرن العشرين ، لم يكد يبقى من أثر بارزللتعليم الديني في البحرين سوى التعليم في الكتاتيب ،وسيلقي الباحث في الصفحات القادمة نظرة على التعليم في الكتاتيب وما يمكن أن نستفيده منه في عصرنا الحاضر .

---

(1) محمد أل مكباس، **المخطوطات الفقهية لعلماء البحرين**، مقال في مجلة الفقاهة – العدد العاشر – أغسطس 2010م مأخوذ من موقع المجلة على الانترنت: www.alfaqaha.net

(2) للمزيد انظر د.سالم النويدري، **أعلام الثقافة في البحرين ج1ص30 وما بعدها**

الكتاتيب في مجتمع البحرين :

أ- انتشار الكتاتيب في مجتمع البحرين

منذ العهد الإسلامي الأول انتشرت الكتاتيب في مختلف بلدان المسلمين، وتمتعت بمكانة عظيمة الأهمية في حياتهم الاجتماعية لأنها المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القران الكريم. (1)

وقد عني علماء المسلمين بوضع قواعد وشروط وآداب لمعلم الكتاب بل وعنوا بمن يرافق الأطفال في غدوهم ورواحهم منه وإليه، وأكدوا على تكوين الشخصية السوية لأطفال الكتاب وتعويدهم على التطبيق العملي لما يتعلمونه. (2)

وفي البحرين شاعت هذه الكتاتيب بدرجة أكبر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بل يذهب بعض الباحثين إلى أن التعليم في البحرين خلال هذه الفترة كان مقصورا على الكتاتيب، وبهذا يكون التعليم الديني هو القاعدة التي بني على أساسها التعليم الرسمي الحديث. (3) فقبل المدارس الحكومية الرسمية، لم يكن للآباء من وسيلة لتعليم أولادهم سوى إرسالهم إلى الكتاب، أو ما يطلق عليه في اللهجة المحلية " المطـوِّع " أو " المعلَم " وذلك لحفظ القران الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وأحيانا الحساب وقراءة بعض الأدعية والكتب الدينية بمحضر المعلم. (4)

---

(1) محمد منير سعد الدين، **دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين**، دار بيروت المحروسة، لبنان، الطبعة الأولى 1412هـ-1992م ص30.

(2) انظر: محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق المطبعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1967م ص260.

(3) رفيقة سليم حمود، **التعليم في البحرين**، إصدار مكتب التربية العربي لدول الخليج، د. ت، ص75. وانظر: مريم خميس السليطي، **ملامح عن تطور التعليم في مملكة البحرين خلال القرن العشرين**، إصدار قسم التوثيق التربوي بوزارة التربية والتعليم في البحرين، 2002، ص16.

(4) انظر: حسين إسماعيل: **التعليم في البحرين**،الدار البحرينية للكتاب،البحرين، 2004م، ص4.

ب- طريقة التعليم في الكتاتيب وأوقاتها وأماكنها:

كان تعليم القرآن يتم في بعض الطرقات ، أو فناء أحد المنازل ، أو في محلات محددة مبنية من جريد النخل (العريش والبرستي) ونادرا ما تكون في غرف مبنية من الحصى والطين، إذ إن ذلك حدث في وقت متأخر تماما. وتفرش الكتاتيب "بالمديد" والحصر المعمولة من مشتقات النخيل. وكان التعليم صباحا ومساء عدا أيام الجمع والأعياد والمناسبات. وكانت الكتاتيب تعج بالصبية حينذاك. ولم يقتصر تعليم قراءة القرآن وحفظه على الأولاد،بل كانت للبنات فرصة في ذلك ، وكانت هناك معلمات "مطوعات" مهمتهن تعليم البنات، وكانت كتاتيب البنات مختلطة من البنات والأولاد دون سن البلوغ، وعند وصول الأولاد هذه المرحلة يتم عزلهم عن البنات. وليس هناك زمن محدد لالتحاق الطفل بهذه الكتاتيب فما على ولي الأمر إلا أن يأخذ ابنه إلى " المعلم " ويدفع مبلغاً رمزياً ويحضر معه "ما يتعلم فيه وهو جزء "عم" الجزء الثلاثون من القرآن الكريم. (1)

ويقوم " المطوع " أو " المعلم " بتعليم الأولاد الحروف الهجائية أولا. ونظراً لعدم وجود وسائل الإيضاح كالأقلام والطباشير والأوراق والألواح وغيرها في ذلك الوقت، فإن مبادئ تعليم الحروف الهجائية كانت تتخذ طريقة خاصة تتناسب وهذا الوضع؛ اذ يبدأ المعلم أو المعلمة بقراءة الحروف بصوت عال والأولاد والبنات يرددون من بعده تلك الحروف. فمثلا يقول المعلم " ألف لا شيلة" (الف لاشيء له) ويردد الأولاد ذلك والباء نقطة من تحت والتاء نقطتين من فوق.. وهكذا حتى نهاية الحروف الألفبائية. (1)

وقد قام بعض المعلمين الذين يتمتعون بخط حسن بتوظيف الخامات المتوافرة في البيئة للتعليم، فكانوا يقومون بكتابة الأحرف الألف بائية والأبجدية على لوح مستطيل من الخشب طوله قدم ونصف، وعرضه نصف قدم، مستخدمين الطين كمداد للكتابة و

---

(1) منصور محمد سرحان، **التعليم النظامي في مملكة البحرين**، مكتبة فخراوي، البحرين ، 2003 ص17.

(2) منصور محمد سرحان،**المكتبات في البحرين**، الخليجية العالمية للاستشارات، البحرين، 2001 ص248.

خوص النخل كقلم يخطون به، فإذا أتقن الطفل معرفة تلك الحروف، مسحها المعلم وكتب مكانها بعض الجمل البسيطة بمادة الطين أيضا. وعندما يتمكن الطفل من إتقان تلك الحروف وقراءة بعض الكلمات والجمل البسيطة، يتم تعليمه علامات الإعراب مثل الضمة والفتحة والكسرة والسكون.. الخ من خلال وجودها في بعض الكلمات والجمل. بعدها يبدأ معه في تعليم قراءة القرآن الكريم ابتداء من جزء عم.(1)

وكانت طريقة تعليم قراءة القرآن تتم سورة بعد سورة، حيث يقوم المعلم بقراءة السورة قراءة متقنة ويردد الطفل أو الأطفال الذين هم في السورة نفسها وراء المعلم، ويتم ذلك عن طريق جلوس الطفل أو الأطفال أمام المطوع مباشرة وبعد أن يقرأ المعلم السورة مرة أو أكثر يطلب من الطفل أو الأطفال الرجوع إلى أماكنهم. (2)

يبدأ الطفل قراءة السورة مرات ومرات لوحده أو أمام أحد زملائه إلى أن يتقنها دون أخطاء في القراءة، فإن أتقن قراءة السورة يطلب من المعلم امتحانه فيها، وهذا الامتحان يتمثل في الجلوس أمام المطوع أو المعلم وقراءة السورة أمامه بصوت واضح. فإذا أخطأ ولو في قراءة كلمة واحدة طلب منه أن يرجع مكانه ويعاود قراءة السورة إلى أن يتقنها دون أخطاء.

وفي حال إتقان الطفل قراءة السورة دون أخطاء، يقوم المعلم بتعليمه السورة التي تلي السورة التي حفظها. وهكذا يستمر تعليم الطفل قراءة القرآن الكريم من سورة إلى سورة ومن جزء إلى جزء حتى يحفظه بكامل أجزائه الثلاثين. (3)

وكان تدريس القرآن يبدأ من يوم السبت إلى يوم الخميس على فترتين صباحية ومسائية تتخللهما استراحة قصيرة حيث يعود الأطفال إلى منازلهم لتناول الغذاء. وينشد الأطفال المتعلمون بعض الأناشيد التي تعبر عن مدى احترامهم للمعلم ، والقيم التربوية المعروفة حينذاك. ومن بين أهم ما كان ينشده الأطفال ما يعرف بـ(المسايات) . (4)

---

(1) منصور محمد سرحان، **التعليم النظامي في مملكة البحرين**، مرجع سابق ص19.

(2) منصور محمد سرحان، المرجع السابق في الصفحة نفسها.

(3) منصور محمد سرحان، م.ن ص17.

(4) المسايات : هي قصائد شعرية كانت تلقى من قبل المتعلمين في الكتاتيب تعبر عن تقدير المعلم واحترامه . انظر المرجع السابق ص17 .

ومنها: (*) (1)

تمسى يا معلم بالسـعادة وأمرك أمرنا عند الرواح
وسيروا سالمين من الرزايا وتأتون الغداة من الصباح
تمسى يا معلمنا درسـنا وأتممنا الدراسة بالنـجاح
ولا ضرب المعلم فيه عيـب ولاعار يكون ولا مزاح
ونضربكم وما في الضرب عيب فإن الضرب اخره الصلاح
"جحيشتكم "(**) معلقة تنـادي تنادي الشاردين من الصباح
تقول لكن "جحيشتكم " تعـالوا بليل قبل أن يأتي الصباح
معلمنا كتبنا ثم جيـنا بأبيـات وخط مستبينا
فأحضر بيننا وانظر إلينا وخاف الله رب العالمينا

ومنها كذلك: (2)

تمسى يامعلم بالسـعادة وأمرك أمرنا عنـد الرواح
بدينا بالنبي أحمد مـحمد رسول الله حي على الفلاح
وقال لهم معلمهم بـقول يحثهم على فعل الصـلاح
فيوم السبت والأحد أحضرونا لتحضوا بالرشاد وبالنجـاح
وفي الاثنين للدرس احفظوه كذا يوم الثلاث بلامـزاح
ويوم الأربعاء للخط خطوا خطوطا ليس فيها من لـواح
وفي يوم الخميس ألا استعيدوا دروسا في المساء وفي الصباح
وجمعة كل اسبوع إليكـم فتعطيل به خير انشـراح
وأوصيكم وصايا فاسمعوها وإلا فاستعـدوا للجـراح

(*) لاحظ أن الأبيات القادمة تحوي بعض الأخطاء النحوية وتتسم بالركاكة ربما لأنها أنشئت في عصر الضعف الأدبي والتقليد.

(1) عبد الحميد المحادين، **الهداية الخليفية رجال وآفاق:** البحرين 1989 ص 16.

(**) الجحيشة: هي عبارة عن حبل كان يستخدم لعقاب الطلبة حيث ترفع رجل الصبي ويضرب ضربا موجعا. انظر: عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، الطبعة الأولى، 2000، دار النشر غير مذكورة البحرين ص172.

(2) عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص 174.

أقيموا للصلاة بكل وقت إذا نادى المؤذن للفلاح
وشتم الأم حاذر ثم حاذر كذاك الأب حاذر بالصراح
تطهّر من نجاسات وبول وأحسن للوضوء إلى الصلاح
وآل المصطفى صلى إلهي عليهم ما تنفس من صباح
فبالقرآن أدعو كل آن لأن أحظى بما فيه نجاحي (1)

وتشمل الأبيات السابقة – رغم ما فيها من الركاكة – على نظام الدراسة اليومي، حيث تعلم الخط يكون في الأربعاء ومراجعة ما تمت دراسته في يوم الخميس، كما أنها تشتمل على التحلي بالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الطيبة مع الأبوين، والمحافظة على إقامة الصلاة، والمداومة على قراءة القرآن الكريم.

ج- حفل التخرج لحافظ القرآن الكريم في الكتاتيب:

وعند حفظ الطفل القرآن الكريم تعد له حفلة يطلق عليها " **زفة الختمة** "، حيث يلبس خاتم القرآن اللباس التقليدي الجديد ، ويتجمع الأطفال حيث تبدأ (الزفة) من بيت المعلم. وفي بعض المناطق يقود المطوع أو المعلم الأطفال في هذا الاحتفال البهيج. ويطوف الأطفال بالبيوت يجمعون بعض الهدايا والمال وجميعها يكون للمعلم نصيب منها. وعند باب كل منزل يقوم خاتم القرآن بقراءة دعاء خاص يسمى التحميدة، وهي متعددة النصوص، ومنها هذه الأبيات:

الحمد لله الذي هدانا للدين والإسلام اجتبانا
سبحانه من خالق سبحانا بفضله علمنا القرآنا
نحمده وحقه أن يحمدا ما ظهر الزهر وما طاح الندى
ثم الصلاة كلما الحادي حدا على النبي الهاشمي محمدا (*)
هذا غلام قد قرا وقد كتب وقد تعلم الرسائل والخطب
ولا تقصر يا ابن أشرف العرب واطرح على اللوح دراهم وذهب
ولا يكن طرفك هم وغضب فالله يعطي ثم يمنح ويهب

---

(1) عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص174.

(*) الأصح إعرابا على النبي الهاشمي محمدِ.

علمني معلم ما قصـرا ردني في درسـه وكررا
إني تعلمت كتابا أكبـرا حتى قرأت مثله كمـا قرا
جزاك يا والدي الجنانـا وشيد الله لـك البنيانا(1)

ويـردد الأطفـال بعـد كـل شـطر مـن البيـت كلمـة " آمـين " وبعـد أن يطـوف الأولاد بالمنازل جامعين الهدايا والنقود، يكون في انتظارهم في بيت المعلم والد الصبي خاتم القرآن وبعض الأقارب والأصدقاء والنسوة اللاتي يقمن بحرق البخور ورش ماء الورد، ويتم توزيع الحلوى على الحاضرين. بعدها يقوم خاتم القرآن بقراءة (التحميدة) وهي أمام والده ومعلمه والحضور، ثم يقوم المعلم بمصافحة والد خاتم القرآن ويبارك له ختم ولده القرآن الكريم ويدعو له بالتوفيق.

وينتهز والد خاتم القرآن هذه الفرصة فيضع في جيب المعلم مبلغا من المال تقديرا لما بذله من جهد، وتعبيرا عن فرحته وسعادته بحفظ ابنه القرآن الكريم. وتقوم بعض العائلات الغنية بعمل الولائم فرحين بختم ابنهم القرآن الكريم. (2)

د- دروس تربوية من الكتاتيب:

على الرغم مما أخذ على بعض معلمي الكتاتيب من المبالغة في العقاب – حيث تربط رجلي الطالب المتهاون أو الذي لم يحفظ السورة المطلوب منه حفظها بحبل ، وتدليان ويضرب بالعصا ضرباً موجعاً والذي قد يؤدي إلى هرب الطالب من الكتاب أحياناً وكرهه للدراسة فيه.

لكن هذا الحكم ليس عاماً فكثير ممن تخرجوا من هذه الكتاتيب يثنون على معلميهم من الذكور والإناث.

وعلى سبيل المثال يقول الدكتور حبيل مثنياً على من علموه في الكتاب " كان معلمي القرآن الكريم في هذه القرية الحاج محمد علي بن عبد الله بن الشيخ جعفر وأخته فاطمة

---

(1) منصور محمد سرحان، **التعليم النظامي في مملكة البحرين**، مرجع سابق ص22

(2) عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص178

بنت عبد الله بن الشيخ جعفر رحمة الله عليهما، وقد تتلمذت على يدهما، وحفظت القرآن الكريم عندهما، فكانت هذه المعلمة ذات أخلاق فاضلة وإدارة حكيمة وهي معلمة قديرة يحترمها طلابها الذكور منهم والإناث " (1)

وقد تتلمذ الباحث إبان طفولته في فترة السبعينات ، في مسقط رأسه بقرية الحجر، على يد إحدى المعلمات المحترمات وهي الحاجة سمانة الشيخ عيسى،وما زالت ذكرى معاملتها الطيبة وأخلاقها الحسنة وتأثيرها البناء عالقاً في الذهن.

وقد اشتمل التعليم في الكتاتيب على قيم تربوية عالية وطرق تدريس متقدمة صار ينادي بها التربويون في العصر الحاليً ونذكر من هذه القيم والطرق ما يأتي:

1- احترام المعلم وتقديره:

كان المجتمع في البحرين يقدر المعلم أو المعلمة تقديراً كبيراً. يقول الدكتور حبيل في وصف تقدير المجتمع للمعلمة التي تتلمذ على يدها: " وكانت – رحمها الله – محترمة لدى نساء قريتها يزرنها باستمرار وتسير معها حاشية إذا ما دعيت للقراءة في قرية أخرى ". (2)

ويقول في الحديث عن معلم من قرية أخرى " ومن معلمي ومعلمات القرآن الكريم والخط العربي في هذه القرية الحاج إبراهيم بن محمد حسن بن الشيخ محمد بن حبيل، وقد علم أبناء الأسرة الحاكمة كما علم كثيراً من أهالي البحرين، ويدينون له بالاحترام والتقدير ". (3)

ويرى الباحث أن هذه القيمة التربوية ينبغي على كل مؤسسات المجتمع و لاسيما المؤسسات التربوية حكومية كانت أو أهلية أن ترسخها في نفوس الناشئة، فبدون ذلك لن يرقى التعليم ولن يبلغ الأهداف المبتغاة منه ولذلك وجدنا علماء المسلمين يؤكدون على هذه القيمة، يقول ابن جماعة: في ذكر بعض الآداب المختصة بالطالب مع معلمه ومنها _ أي من الآداب _" أن ينظر المتعلم للمعلم بعين الاحترام والإجلال والإكرام

---

(1) عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص178.

(2) عبد علي محمد حبيل م. ن، ص179.

ويضرب صفحاً عن عيوبه؛ فان ذلك أقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما يسمعه في ذهنه ". (1)

ويقول الشيخ زين الدين العاملي مؤكداً على أهمية احترام المعلم والتواضع له: ومنها أي من آداب تعام الطالب مع معلمه " أن يتواضع له زيادة على ما أمر به من التواضع للعلماء وغيرهم، فبتواضعه له يناله، وليعلم أن ذله لشخصة عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة، وأن يبجله في خطابه وجوابه، في غيبته وحضوره ولايخاطبه بتاء الخطاب وكافه ولايناديه من بعد بل يقول "ياسيدي " ويا أستاذ " ويخاطبه بصيغ الجمع تعظيما " (2)

ولكن هذا الاحترام والتقدير يتطلب من المعلم أن يكون أسوة وقدوة لتلاميذه، ملتزماً بالآداب في التعامل معهم، صائناً لنفسه عن المفاسد، عادلا في تعامله، واسع الاطلاع، عارفا بمادته وآخر المستجدات في طرق تدريسها، وطبيعة المعلمين، وكيفية التعامل مع كل صنف منهم.

1- تفريد التعليم أو التعلم المتمايز:

ينادي رجال التربية والتعليم في عصرنا الحاضر بما يسمونه تفريد التعليم أو **التعليم المتمايز** ويقصدون به أنه لا بد للنظام التعليمي أن ينطلق من حقيقة أن كل تلميذ هو فرد لا يشاركه في خصائصة بكل تفصيلاتها فرد آخر، فحتى لو تشابه مع غيره من التلاميذ في عدد من الصفات فهو يتميز ببعض الخصائص، ولكل تلميذ استعداداته وعلى التربية أن تتعامل إيجابياً مع هذه الاستعدادات وتحفزها وتنميها وتطورها. (3)

فتفريد التعليم حسب المعاجم التربوية الحديثة (individualization instruction)

---

(1) ابن جماعة الكناني (ت: 790 هـ): **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1354هـ، الطبعة الأولى ص 88، 89.

(2) زين الدين بن أحمد العاملي (ت965هـ)، **منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**، تحقيق رضا مختاري، مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران، الطبعة الثانية 1414هـ ص243.

(3) حسن إبراهيم عبد العال، **المدرسة وتربية الإبداع** ، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى 2004م ص237.

هو تعديل المواد والبرامج والأساليب التعليمية لتناسب كل طالب على حدة. (1)

والواقع أن بعض العلماء العرب والمسلمين قد أشاروا إلى فكرة تفريد التعليم بشكل مباشر أو غير مباشر فهذا ابن خلدون يقول : ويراعي في ذلك _ أي في تعليم المتعلم_ قوة عقله، واستعداه لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ..." (2)

وهذا ما كان يمارس في الكتاتيب، حيث يضم الكتاب مجموعة غير متجانسة من الطلاب سناً، وذكاء، وقدرة، بل جنساً كذلك ويتعامل المعلم (الملا، المطوع) مع هذا الخليط غير المتجانس مع هؤلاء الطلاب كل حسب سنه وذكائه وقدرته العقلية، فيعطي كل ذي حق حقه من العناية والوقت تبعاً لقدراته واستعداداته. (3)

ويقوم المعلم بتشخيص الصعوبات التي يعاني منها كل طالب أثناء تعلمه ويعالجها بحكمة وروية كما يضمن هذا النظام تغذية راجعة فردية متسقة حتى الوصول إلى إتقان السورة التي يتعلمها الطالب.

2- التعلم الإتقاني:

يعتبر المنظرون للفكر التربوي الغربي الحديث أن التعلم الإتقاني حدث جديد في عالم التعليم والتعلم، قفد ظهر هذا المصطلح في الولايات المتحدة عام 1968 واحتفل أنصاره بعيد ميلاده العشرين عام 1988م (4) ويعرف التعلم الإتقاني بأنه " مجموعة من الأفكار والممارسات التعليمية المتعددة ومجموعة من إجراءات التعليم والتقييم تهدف إلى تحسين التعليم المقدم للطلبة، حتى يصلوا جميعا أو معظمهم إلى مستوى إتقان محدد " (5)

---

(1) ميشيل تكلا جرجس ورمزي كامل حنا، **معجم المصطلحات التربوية**، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الثانية 2004 ص210.

(2) حسان حلاق:**طرائق ومناهج التدريس والعلوم المساعدة وصفات المدرس الناجح** ، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان،ط1، 2006، ص83.

(3) عبد علي محمد حبيل، **جزيرة سترة بين الماضي والحاضر**، مرجع سابق ص175.

(4) أحمد صيداوي، **التعلم الإتقاني وقائع المؤتمر التربوي السنوي الخامس 4-6 أبريل 1989م**، وزارة التربية والتعليم، البحرين، 1989، ص3.

(5) صلاح معمار، " **التعلم من أجل الإتقان** " موقع الدكتور صلاح معمار:**www.memar.net**

وتقوم فكرته الأساسية على أن كل الطلاب يستطيعون إتقان جميع المهام التعليمية التي تقدمها المدرسة بالتساوي ولكنهم فقط يتفاوتون في: الزمن الكافي للتعلم والإتقان. ومقدار الجهد المبذول في التعلم. (1)

وهذه الفكرة أشار إليها بعض علماء العرب والمسلمين ومنهم الغزالي الذي أوصى المعلم أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى أخرى ، ومراعاة قدرات المتعلم العقلية، وان لا يثقل عليه ، كما وأوصى المتعلم بان لا يخوض في علم حتى يتقن العلم الذي قبله، وقد صنف(الغزالي) العلوم بحيث يكون تعلم بعضها طريقا لتعلم الآخر . (2)

وهذا ما كان يحدث في الكتاتيب ، إذ لا ينتقل الطالب من حفظ سورة إلى حفظ سورة أخرى إلا إذا أتقن سابقتها، ويختبر المعلم الطالب في معرفة وقراءة بعض الكلمات التي يراها المعلم صعبة على طالبة ليتأكد أن الطالب قد أتقنها، وامتلك مهارة القراءة ومعرفة الحروف والكلمات ، وبعدها ينقلة إلى سورة أخرى. ومع هذا تستمر المتابعة والتغذية الراجعة، فالطالب قبل أن يبدأ بقراءة سورته في الجلسة التالية يقرأ ما سبق أن درسه ليطلع المعلم عن كثب على مدى إتقانه تلك السورة التي سبقت دراستها.

ويبدو أن التعليم في الوقت الحاضر سواء التعليم الحكومي أو التعليم الديني الأهلي بحاجة للاستفادة من هذا النمط من التعليم، والتأكيد على إتقان الكفايات الأساسية قبل نقل الطالب من فصل دراسي إلى آخر وعدم السماح بما يسمى بـ (التنجيح الآلي) الذي ينقل الطالب من صف إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى دون التأكد من إتقان الكفايات بحجة التكلفة الباهظة لفتح مزيد من الصفوف، حيث أن هذا النظام يؤدي إلى استهتار الطلبة بالتعليم لأنهم يعرفون سلفاً أنهم ينقلون إلى الصف التالي دون عناء أو تعب، كما أنه ينتج طلبة ذوي مخرجات ضعيفة وغير قادرين على مواكبة متطلبات سوق العمل ولا يمتلكون المهارات الأساسية للتعامل مع شؤون الحياة المختلفة. وإذا كان الناس متفاوتين في قدراتهم فان الطلبة الذين لا يميلون إلى الدراسة النظرية يفترض أن يشجعوا على الالتحاق بالمعاهد العملية التي يطلب من الدولة زيادة عددها والعناية بها لتحتضن هؤلاء وتدربهم وتنمي قدراتهم ومواهبهم بما يساعدهم على اكتساب صنعة يستفيدون منها، ويفيدون المجتمع، لا أن يتم تنجيحهم آليا فيؤدي ذلك إلى استهتار باقي الطلبة وضعف مخرجات التعليم.

---

(1) صلاح معمار، المرجع السابق .

(2) الغزالي، أبو حامد محمد ، **إحياء علوم الدين** ، ، بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر، ج1ص27

4- تعليم القراءة عن طريق الجمع بين الطريقة الكلية والطريقة التحليلية:

يقسم التربويون الذين تحدثوا عن طرق تعليم القراءة للمبتدئين هذه الطرق إلى ثلاث:

1- **الطريقة التركيبية أو الجزئية:** وسميت بذلك لأن التلميذ يبدأ فيها بتعلم الجزئيات ثم يتدرب على تركيب هذه الجزئيات لتكوين الكل. وبما أن الجزئيات ليس لها معنى؛ فأن هذه الطريقة لا تعتمد في البدء على المعنى (1).

وتندرج ضمن هذه الطريقة طريقتان:

الأولى: الطريقة الهجائية:وفيها يبدأ الطفل بتعلم الحروف الهجائية بأسمائها بالترتيب.

الثانية الطريقة الصوتية: وتقوم على البدء بتعليم الطفل أصوات الحروف بدلاً من أسمائها فيدرب على قراءة الحرف متحركاً مثل (أَ، إِ، أُ)

2- الطريقة التحليلية وفيها يبدأ المعلم بتعليم تلاميذه وحدات لغوية على شكل كلمات أو جمل مفهومة.

3-الطريقة التوفيقية:(التحليلية التركيبية) وتجمع هذه الطريقة بين مزايا الطريقتين، فهي تقدم للمتعلم جملاً أو كلمات لها معنى، ثم يطلب منه تجزئة الجملة إلى كلمات، والكلمة إلى حروف وأصوات مع تجريد الحرف، وذلك بانتزاع صوت الحرف المكرر في عدة كلمات، والتدريب على نطقه منفرداً حيث يثبت رسمه ورمزه الكتابي في أذهان التلاميذ وأنظارهم. (1)

ويمكننا القول: إن تعليم القراءة في الكتاتيب كان يقوم على هذه الطريقة التوفيقية ففي البداية يطلب من الطالب قراءة البسملة بالطريقة الكلية ثم يطلب منه تجزئة حروف هذه الآية الكريمة ثم إذا أتقن البسملة جاء لدراسة حروف الهجاء بالطريقة الجزئية، ثم يعود ليقرأ السورة بالطريقة الكلية مع تأكد المعلم من إتقانه لنطق الحروف التي تتكون منها الآيات.

هذه نبذة عن التعليم في الكتاتيب في الزمن الماضي ليستفيد منها المجتمع كله والمعنيون بالتعليم بشكل عام ، والتعليم الديني الأهلي بشكل خاص في العصر الحاضر سواء فيما يتعلق بالتأكيد على احترام المعلم وتقديره ، أو اعطاء كل طالب حقه حسب قدراته والاستفادة من الطلبة المتميزين في تعليم أقرانهم وتأهيلهم للتدريس .

والحمد لله رب العالمين .

---

(1) سلوى يوسف مبيضين ، **تعليم القراءة والكتابة للأطفال**، دار الفكر، عمان، الطبعة الأولى 1423-2003م ص156.